

اللغة العلمية فى العصر العباسى

أ. د. محمد حسن عبد العزيز*

هذا البحث يصور لنا موقف سلفنا العلماء من علوم العجم الذين سبقوهم إليها ، والطرق التى سلكوها لتعريب تلك العلوم . وقد كانوا - والحمد لله - راشدين حين أسرعوا بترجمتها ، وتجاوزوا من أجل ذلك كل عقبة ، وكانوا فى ذلك مثلاً وقدوة ، وقد طأعتهم العربية الفصحى فيما قصدوا ، فأوفت بمطالب تلك العلوم حق الوفاء: اختاروا اللفظ العربى حين تهيأ لهم ، وولدوا حين عز عليهم ، ثم عربوا حين اضطروا ، وكانوا - فى ذلك أيضاً - مثلاً وقدوة.

*أستاذ علم اللغة ، ووكيل كلية دار العلوم للدراسات العليا والبحوث بجامعة القاهرة .

يمضى هذا البحث فى خطوط ثلاثة:

الأول: الحركة العلمية فى العصر العباسى ، وآثارها فى اللغة العربية.

الثاني : ملامح المصطلح العلمى فى جملة من أهم المؤلفات العلمية فى هذا العصر
الثالث: تجميع تلك الملامح لتستوى فى عناية البحث صورة للاتجاهات والضوابط
العامة فى معالجة قضية المصطلح العلمى فى العصر العباسى وهذه هى عناوينها

الرئيسة :

أولا : اللغة العربية لغة علمية .

ثانيا : مذاهب المعربين فى وضع المصطلحات العلمية.

ثالثا : مذاهب المعربين فى رسم الألفاظ الأعجمية .

رابعا: مذاهب العلماء فى تنظيم المادة المصطلحية فى معاجم أو قوائم علمية وترتيبها فى
مداخل . وقد كان من الضرورى لمثل هذا البحث أن نستله بتحديد موجز لصفات اللغة
العلمية، ومفرداتها من المصطلحات لنستحضر تلك الصفات كلما فحصنا نصا علميا ،
ولنقرنها - على نحو من الأنحاء - بصفات اللغة العلمية فى العصر العباسى .

استهلال

اللغة العلمية من حيث صفاتها العامة يجب أن تطابق روح العلم الذى تتناوله
وطبيعته، ويجب أن تكون محدودة الألفاظ، واضحة المدلولات ، قابلة للنمو الذى لا حد
له، وأن تسمح طبيعتها بالتصنيفات العلمية، وألا يضحي فيها بشيء من الدقة والوضوح
فى سبيل الفصاحة أو الجمال، ويجب أن تكون بعيدة عن تشابه القول فى اللغات
العامة. ومفردات هذه اللغة من المصطلحات هى مجمع حقائق العلم، وعنوان ما يتميز به
كل واحد منها عما سواه، والعلماء - على خلاف عامة الناس - فى تعاملهم مع اللغة،
لأنهم - فى الحقيقة - يتعاملون مع المفردات بطريقة خاصة ، يشيرون بها فى الغالب

إلى عناصر لیتعلق بعضها ببعض أو إلى أقسام وأصناف وأنواع .. الخ وإن التعامل مع اللغة - بهذه الطريقة - يجعلها خاضعة لنظام لا مفر منه .

وبمراعاة تلك الصفات أقام العلماء فى الغرب بناء علميا ضخما قوامه عدد لا يكاد ينحصر من الألفاظ الجديدة التى توافق طبيعة العلوم، ونجحوا فى جعلها رموزا دقيقة واضحة، فيها فائدة الرمز، وسهولة التناول، وبساطة العلاقات ، وتفادوا كل عيوب لغة التفاهم ، وملابساتها المرتبطة بالألفاظ العامة.

فما نصيب العربية من تلك الصفات العلمية، وكيف نجح العلماء فى العصر العباسى فى أن يكون لهم نظام عربى مصطلحى يعكس طبيعة العلم فى عصرهم، وكيف روعيت الضوابط أو القواعد التى استخرجها النحاة واللغويون من كلام العرب فى بناء تلك المصطلحات؟ هذا هو ما يعرض له هذا البحث .

النهضة العلمية فى العصر العباسي

لم يكن للعرب قبل الإسلام علم بالمعنى المعروف لكلمة Science، ومن ثم لم تكن لديهم تقاليد علمية موروثة، بل قامت نهضتهم العلمية على مزيج من ثقافة الأمم المجاورة لهم : اليونان والفرس والهند، ومع هذا لم تكن تلك النهضة مجرد اتصال أو استمرار تلك الثقافة، ولم تكن مجرد إحياء لها، بل كانت نهضة علمية لها مقوماتها الذاتية الخاصة، ولهذا مضت تطور هذه العلوم والمعارف ، بل استحدثت علوما لم يكن لها وجود من قبل.

لقد أقام الإسلام دولة عظيمة مترامية الأطراف، ضمت أسما وشعوبا مختلفة، واقتضت سياسته الراشدة إنشاء المدن ، وتعمير المباني ، وشق الترع، ومد الطرق ، وتنظيم شئون المال من خراج وزكاة .. ثم اقتضت طبيعة الحياة الإسلامية نفسها، وتكاليف الشريعة أموراً كتتويك وضبط الشهور وقسمة الموارث.. وغيرها . وهذا كله كان مما يدعو إلى إنشاء فروع من العلوم لم يكن لهم بها من عهد .

وكان للعلوم إبان تلك النهضة مراكز مشهورة فى الإسكندرية والرها ونصيبين
وقنسرين .. الخ وإلى علماء تلك المدارس يرجع الفضل فى تعريف المسلمين بعلوم
اليونان، وكان المسلمون يستعينون بهم فى كل الأمور التى تتصل بفروع العلم المختلفة.
وكانت النهضة شاملة كل العلوم المعروفة آنذاك فعرف العرب طب أبقراط وجالينوس،
وفلك بطليموس، وهندسة إقليدس ، وفلسفة أفلاطون وأرسطو.

واعتقد أنه من فضول القول أن أحدث هنا عن حركة الترجمة التى نشطت نشاطا
مثيرا فى العصر العباسى وعن أدوارها المتعاقبة، وعن خصائص كل دور، وما ترجم فى
أثنائه من مؤلفات، وما كان يلقاه المترجمون والعلماء من رعاية الخلفاء وسراة الناس، وما
كان ينفق فى سبيلها من مال وجهد ، فهذا كله معروف شائع^(١) .

آثار حركة الترجمة فى اللغة العربية

ترجم العرب علوم اليونان والفرس والهند، وأنشأوا علوما أخرى كعلم الكلام والفقه
والنحو، وتناولت تلك العلوم - على اختلافها - مفاهيم ومدلولات لم يكن للعرب بها
من عهد ، وكان على العربية أن توجد لها وسائل التعبير التى تؤدّيها. لقد اجتهد العلماء
أولا فى أن يوجدوا لها لفظا عربيا ، أو فى أن يبتدعوا لها صيغا ومشتقات ، فإن أعياهم
هذا أو ذاك عربوا . وبهذه الطرق أوفت العربية بمطالب تلك العلوم غاية الوفاء.

ولكى نعرف الطرق التى سلكتها العربية فى الوفاء بمطالب العلوم ، وفى استكمال
منظومتها المصطلحية ، اخترت بضعة مؤلفات عربية رائدة لنستخلص منها ما يتصل بهذا
الموضوع من حقائق . هذه المؤلفات:

١- العشر مقالات فى العين لحنين بن إسحق.

٢- مفاتيح العلوم للخوارزمى .

(١) انظر : مصطفى نظيف : «نقل العلوم إلى اللغة العربية» مجلة المجمع ٢٤٢/٧، ٢٤٣.

٤- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار.

أولاً: العشر مقالات في العين لحنين بن إسحق

ولد حنين بن إسحاق العبادي بالحيرة عام ١٩٤ هـ . درس الطب على يحيى بن ماسويه، ثم التحق بخدمة الطبيب المشهور : جبرائيل بن بختيشوع وترجم له بعض كتب جالينوس، ثم التحق بخدمة الخليفة العباسي المتوكل مترجماً طبيباً، وظل في خدمة خلفاء بني العباس حتى وفاته عام ٢٦٤ هـ^(١) .

ينسب إلى حنين ترجمة عدد كبير جداً من الكتب تتناول ألوان العلم المعروفة في عصره من طب وفلسفة وفلك وطبيعة، ويذكر العلماء أنه ترجم إلى السريانية من كتب (جالينوس) خمسة وتسعين كتاباً ، وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين، وعدا ذلك فقد راجع وأصلح ما ترجمه تلاميذه ، كما راجع وأصلح معظم الخمسين كتاباً التي كان قد ترجمها إلى السريانية (سرجس الرأسعيني) (وأيوب الوهادي) وغيرهم من الأطباء. كان حنين غاية في إتقان العربية والسريانية واليونانية يقول عند القفطى : وقعد في جملة المترجمين لكتب الحكمة واستخراجها إلى السرياني، وإلى العربي، وكان فصيحاً في اللسان اليوناني والعربي، بارعاً شاعراً خطيباً وفصيحاً لساناً،، وكان أسلوبه في الترجمة ،، كما يقول (ماكس ما يرهوف): رائعاً ووافياً بأغراض علم اللغات الحديث تماماً، «كان يجمع أكبر عدد ممكن من المخطوطات ويقارن بعضها ببعض حتى يخرج بنسخة سليمة يترجم منها، وكان ينتقد تراجم المتقدمين عليه بل تراجمه . أيضاً يقول (برجستراشر):

(١) انظر في ترجمة حنين : ابن التديم الفهرست ص ٣٥٢، ٣٥٣ تحقيق رضا تجدد ، طهران ، ١٩٧١ . ابن أصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء شرح وتحقيق د. نزار رضا، مكتبة الحياة ، بيروت القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء لبيزج ١٩٠٣، ودائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية مجلد ١٦ ص ١٢٦-١٣٣ مطبعة الشعب مصر .

يتجلى فضل ترجمات حنين في «سلاسة التوفيق بين اليونانية والعربية والدقة المتناهية في التعبير مع الإيجاز» .

ولا شك في أن ترجماته ومراجعاته كان لها أثر كبير في ظهور مذهب له متميز في الترجمة ، يقول الصفدى في هذا المذهب : كان يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه ، ويعبر عنها في اللغة الأخرى بجملة تطابقها ، سواء سارت الألفاظ أم خالفتها ، وهذا الطريق أجود [من الطريق الذى يقابل اللفظ باللفظ بغض النظر عن خواص النسب والتراكيب] ولهذا لم تحتج كتبه إلى تهذيب^(١) .

أما مؤلفاته بالعربية فقد أورد ابن أصيبعة أكمل قائمة لها ، ومن أهمها : تفسير كتاب الصناعة الصغير لجالينوس ، والمعروف بالمدخل ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية فى ليزج عام ١٤٩٧م وفى (ستراسبرج) عام ١٥٣٤م ، وكتاب (المسائل فى الطب) وهو مقدمة فى الطب العام على هيئة أسئلة وأجوبة ، وعلى هذا الكتاب شروح وتعليقات كتبها الأطباء العرب.. وله أيضا رسالة فى الضوء وحقيقته ، ورسائل فى المنطق.. الخ ، وجملة القول فى هذا المؤلفات أنها صورة منعكسة لطب اليونان الذى استنفد فى ترجمته أهم قسط من نشاطه فى حياته العلمية^(٢) .

(١) ماكس (ما يرهوف) : مقدمة تحقيقه لكتاب «العشر مقالات فى العين» لحنين ، المطبعة الأميرية ١٩٢٨ .

(٢) ماكس (ما يرهوف) : مقدمة تحقيق العشر مقالات ص ٣٣ ، ويؤكد محققو كتاب (المسائل فى الطب) لحنين أن «المسائل» و«المدخل» مؤلف واحد ، مخطئين (ماكس ما يرهوف) فيما ادعاه ، معتمدين على قول ابن أصيبعة «كتاب المسائل وهو المدخل إلى صناعة الطب، لأنه جمع فيه جملا وجوامع تجرى مجرى المبادئ والآوائل لهذا العلم . انظر أبو ريان (د. محمد على) و موسى (د. جلال محمد) وعرب (د. موسى محمد) المسائل فى الطب، لحنين بن إسحق ص ٢٢ ، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية ١٩٧٨ .

كتاب (العشر مقالات في العين)

وصفه محققه طبيب العيون والمستشرق العلامة (ماكس ما يرهوف) بأنه أقدم كتاب فى طب العيون ألف على الطريقة العلمية ، وهو أول نص كامل من مؤلفات حنين يخرج إلى العربية محققا، وقد صحبته ترجمة إلى الإنجليزية مع شرح واف لمصطلحاته. والكتاب يضم عشر مقالات عن تشريح العين ووصف المخ، وعن العصب الباصر وروح البصر ، وعن ترتيب أمراض العين وأسبابها الخ .

يضم الكتاب مائة صفحة ، ورد فيها ما يقرب من مائة مصطلح يونانى فى الطب غير سبعين أخرى فى الأدوية المفردة، وهذه المصطلحات - على الرغم مما أصاب بعضها من تحريف- على جانب كبير من الأهمية ، لأنها كما يقول ما يرهوف ، لا توجد فى الكتب اليونانية الطبية ، ثم إنها فذة لا مثيل لها، وهذه أمثلة منها^(١) .

المصطلح اليونانى	المصطلح العربى المرادف له	التعريف
قرسطلويداس	الرطوبة الجليدية	بيضاء صافية، نيرة مستديرة ليست بمستحكمة الاستدارة ، بل فيها عرض ، وهى فى وسط العين كنقطة توهمنها فى وسط كرة، وهى فى تفسير (ما يرهوف) عدسة العين البلورية.
أيلالويداس	الرطوبة البيضية	رطوبة خلف الرطوبة الزجاجية، وهى شبيهة بالزجاج، (والرطوبات فى كلام حنين : أغشية العين وسوائلها).
أوويداس	الرطوبة البيضية	رطوبة قدام الرطوبة الجليدية، وهى شبيهة ببياض البيض.

(١) ماكس (ما يرهوف) كتاب العشر مقالات فى العين ص ٥٨.

- من تلك الأمثلة يتضح أن حنين إسحق كان يترجم المصطلح اليونانى بما يلائم معناه بالعربية، ويجمع بينهما غالبا ، وقد اطردها هذا الأسلوب فى سائر الكتاب إلا فى موضعين : أسماء الأمراض فسمّاها بأسمائها اليونانية، ومفردات الأدوية فقد استعمل أسماءها المعروفة فى العربية والفارسية واليونانية^(١) .

- كان يستخدم المصطلحات اليونانية كما يبدو لى مؤقتا ، ولذا لم تجد قبولا كبيرا بين العلماء والمترجمين على العكس من ترجمته لها فقد ذاعت بينهم، فأغشية العين أو رطوباتها عند ابن سينا هى كما وردت فى كتابه : الجلدية، والزجاجية، والبيضية، والشبكية والمشيمية والقرنية والعنبية والملتحمة^(٢) .

ثانياً: مفاتيح العلوم للخوارزمي

لا نعرف لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى عام ٣٨٠ أو ٣٨٧ هـ كتابا آخر غير كتابه الشهير (مفاتيح العلوم) . عاش الخوارزمي فى أزهى عصور العلم فى العالم الإسلامى بأسره، وقد استكملت العلوم الإسلامية لغتها فى القرن الثالث ، وتوفرت لها حياة كاملة، وأصبح لكل علم حدوده وموضوعاته ونظرياته أو بعبارة أخرى: توفرت لغة علمية خاصة لها مفاهيمها ومصطلحاتها ، يقول : «إن اللغوى المبرز إذ تأمل كتابا من الكتب التى صنعت فى أبواب العلوم والحكمة، ولم يكن شدا صدرا من تلك الصناعة لم يفهم شيئا منه» ولهذا أفرغ طاقته فى كتاب يعالج به هذا الخلل

(١) ابن إسحق (حنين) كتاب العشر مقالات فى العين ص ٧٤، ٧٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٥٨،

(٢) ابن سينا: (القانون فى الطب) ج ٢ ص ١٠٧، ١٠٨ ، المطبعة العامرة بمصر ١٢٩١ هـ وقد أشار الرازى فى (الحاوى) إلى أمراض هذه الأغشية بلفظها العربى المترجم : الجلدية ، الزجاجية ، والبيضية.. الخ انظر الجزء الثانى ، الباب الأول . وكذلك فعل ثابت بن قرة فى «الذخيرة فى علم الطب» وعبارته قريبة من عبارة حنين . انظر الذخيرة فى علم الطب» لثابت بن قرة تحقيق د. جورجى سبىحى ص ٣٥ ، المطبعة الأميرية ١٩٢٨ .

بحيث يكون : جامعا لمفاتيح وأرائل الصناعات مضمنا ما بين كل طبقة من العلماء من
المواضع والاصطلاحات التي خلت منها أو من جلها الكتب الحاصرة لعلم اللغة^(١)
مفاتيح العلوم

يقع الكتاب في مقاليتين الأولى عن علوم الشريعة وما يقترب بها من العلوم العربية،
والثانية لعلوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم . وتحت كل مقالة عدة أبواب،
وتحت كل باب عدة فصول . وقد قام الكتاب على أساس موضوعي وتبويب محكم
دقيق. ولهذا الكتاب وما يتضمنه من ملاحظات لطرق الوضع أو الاصطلاح شأن خاص
في توضيح تطور المصطلح العلمي العربي والإشارة إلى مصادره الأساسية من وضع أو
تعريب ، ولعله - كما يقول د. إبراهيم مذكور - من أوضح المراجع العربية في بيان
الأخذ من اليونانية والسريانية^(٢) .

وهذه بضعة أمثلة تكشف عن منهجه في تأصيل المصطلحات المعربة وبيان
مدلولاتها :

- من مصطلحات الفلسفة : فلسفة، إيساغوجي ، هيولي، أسطقس .. الخ يقول
في مصطلح فلسفة : مشتقة من كلمة يونانية وهي (فيلاسوفيا) وتفسيرها : محبة
الحكمة، فلما أعربت قيل (فيلسوف) ثم اشتقت منها : الفلسفة ، ومعنى الفلسفة : علم
حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح^(٣) .

- ومن مصطلحات الطب: الترياق، الباسليق، القيفال ، القولنج، النقرس .. الخ
يقول في (الترياق) : مشتق من (تيريون) باليونانية، وهو اسم لما ينهش من الحيوان

(١) الخوارزمي (أبو عبد الله محمد بن أحمد) : «مفاتيح العلوم» تحقيق فان فلوتن، ليدن
١٨٩٥ م.

(٢) مذكور (د. إبراهيم) : المعجمات العربية المتخصصة مجلة المجمع ج٤ ص ٣٤٤ ص ١٨ .

(٣) الخوارزمي : «مفاتيح العلوم» ص ١٣١، ١٣٦، ١٣٧ .

كالأفامى ونحوها، ويقال له بالعربية أيضا (درياق).^(١)

- ومن مصطلحات الهندسة : هندسة ، أسطوانة ، هليلج .. الخ يقول فى (الهندسة) : هذه الصناعة تسمى باليونانية (جو مطريا) وهى صناعة المساحة، وأما (الهندسة) فكلمة فارسية معربة، وفى الفارسية (أندازه) أى المقادير^(٢) .

-ومن مصطلحات النجوم : أصطرونوميا ، الزيج، الزائجة ، النهبر ، الأصطرب . الخ يقول فى (الأصطرب) : معناه قياس النجوم، وهو باليونانية (أصطربايون) (أصطر) هو النجم و(لابون) هو المرأة، ومن ذلك قيل لعلم النجوم (أصطرونوميا)^(٣) .

-ومن مصطلحات الموسيقى: موسيقى ، أرغانون ، مستق، صنع، لور ... الخ يقول فى (الموسيقى) معناه تأليف الألحان، واللفظة يونانية، وسمى المطرب ومؤلف الألحان الموسيقور والموسيقار .

-ومن مصطلحات أهل الحيل : منجانيقون ، برطيس، مخل ، يرم .. الخ يقول فى (المنجانيقون) صناعة الحيل واللفظة يونانية، وأحد أقسامها جر الأثقال بالقوة اليسيرة^(٤) .

-وأما مصطلحات الكيمياء فقد اكتفى بالألفاظ التى تشير إلى آلاتها ومعداتنا، وما يستعمل منها كحقاكير وأدوية دون أن يردّها إلى أصولها اللغوية مثل : كور، راط ، بوطق، أسرب ، رصاص .. الخ مغتسيا ، توتيا ، زنجار ، زنجفر .. الخ^(٥) .

(١) السابق : ص ١٥٣، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٣ .

(٢) السابق : ص ٢٠٢، ٢٠٩ .

(٣) السابق : ص ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٣ .

(٤) السابق : ص ٢٣٦ .

(٥) السابق : ص ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٣ .

ومن هذه الأمثلة نلاحظ الآتى :

- الكتاب صورة واضحة لما بلغت العلوم فى القرن الرابع الهجرى من تقدم وازدهار، والغاية فى ذلك انتظام مصطلحاتها واستقرار استعمالها.

- الكتاب صورة تمثل الأسلوب الذى اتخذه العلماء فى الاصطلاح، بإضفاء معان جديدة على الألفاظ العربية لم تكن لها من قبل بالتوسيع أو بالتضييق أو بالنقل، أو فى ابتكار كلمات جديدة على صيغ عربية ومن جذور عربية، أو بالتعريب بنجد مثلا : الكيد والحيزان، والمزاعمة والابتزاز والاستعلاء والحصار والتشريق والتعريب، ثم بنجد بعدها : الكنار روزى، والهيلاج والكخذاه، والفردار، والجان بختان والبرماهى .. وكلها من مصطلحات التنجيم .

- لم يجد العلماء حرجا فى أن يشتقوا مما عربوا فقالوا : مهندس من (هندام) وفلسف وتلفسف من (فيلوسوفيا) وهندس ومهندس من (أندازه) .. الخ

- لم يجد العلماء حرجا فى الجمع بين المصطلح العرب وما يرادفه من اللفظ العرب فقالوا : (اسطقس) وركن (اصطرونوميا) وعلم النجوم (لوغيا) والمنطق .. الخ

- لم يجد العلماء حرجا فى استعمال العرب إذا لم يكن فى العربية ما يرادفه، وفى الفصول المعقودة للمفردات والأغذية وأسماء الأعيان ما يشهد بجراءة محمودة فى تلك السبيل .

ثالثاً : القاون فى الطب لابن سينا

الشيخ الرئيس أو المعلم الثالث هو أبو على الحسين بن على، ولد فى عام ٣٧٠ هـ وتوفى عام ٤٢٨ هـ درس الطبيعيات والإلهيات، وعرف الطب والفلسفة، كما عنى بالرياضيات والفلك وترجع مكانته العالمية إلى أنه كان كاتباً موسوعياً انتهت إليه علوم عصر من أزهى صور العلم الإسلامى، فأحسن فهمها ونقلها إلى الأجيال القادمة، وكان

أثره فى الطب عظيمًا فى الشرق والغرب، وكان كتابه (القانون) إنجيل الطب فى العصور الوسطى وقد طبع باللاتينية ست عشرة مرة فى السنوات الثلاثين الأخيرة من القرن الخامس عشر، وقد أعيد طبعه عشرين مرة فى القرن السادس عشر (١).

القانون

ويتألف (القانون) من خمسة كتب هى :

الأول : فى الأمور العامة الكلية فى قسمى الطب النظرى والعملى.

الثانى : فى الأدوية المفردة .

الثالث : فى الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان .

الرابع : فى الأمراض الجزئية الى لا تختص بعضو محدد، وفى الزينة .

الخامس : فى تركيب الأدوية وهو (الأفرياذن).

وسوف نقسم - لاعتبارات سوف نتبينها فى أثناء الحديث - مصطلحات القانون

إلى نوعين :

الأول : يتصل بمصطلحات الطب والثانى بمصطلحات الأدوية المفردة .

مصطلحات الطب:

قام معهد الطب والدراسات الطبية بنيودلهى بوضع معجم شامل يحوى جميع المصطلحات الطبية التى استعملها ابن سينا فى القانون (والمقصود بذلك مصطلحات التشريح والمنافع والقبالة وعلم الأمراض.... الخ) وقد اختير بإزاء كل مصطلح ما يرادفه فى الإنجليزية فى كل الأحوال وفى اللاتينية أحيانا قليلة .

(١) انظر فى ترجمة ابن سينا ومؤلفاته : القفطى : إخبار العلماء من ٤١٣-٤٢٦ وابن أصيبعة :

عيون الأنباء من ٤٣٧-٤٥٩ دائرة المعارف الإسلامية مجلدا من ٣٢٣.

ويحتوى المعجم - كما يقول واضعوه - على حوالى عشرين ألف كلمة عربية وبازائها كلمات إنجليزية يبلغ عددها حوالى خمسين ألف كلمة . وقد تبين لى عند إحصائى للمصطلحات التى يضمها المعجم أنها تبلغ ما يقرب من ثمانية آلاف مصطلح ، لأن واضعى المعجم قد احصوا عدد الكلمات التى تتألف منها المصطلحات لاعدد المصطلحات نفسها، وبعضها يتألف من كلمتين أو ثلاث.

وتبلغ نسبة الألفاظ المعربة ما يقرب من ٢٪ فحسب على حين تبلغ الألفاظ العربية ما يقرب من ٩٨٪ . وتلك النسبة مرجعها أن أغلب مصطلحات هذا القسم مأخوذ من اللغة العامة، وهذه أمثلة منها وردت فى صفحة واحدة : ارتعاد، ارتفاع ، ارتكاز، ارتكام، ارتواء ، إرجاح، أرجوحة، إرخاء، إرساب إرضاض .. الخ ومن أمثلة الألفاظ المعربة : أورطى، بادزهر، بادشنام، باسليق ، باسور باشق، باريطون، بارطوس، بلغم، بلور، بورق، بوليموس ... الخ^(١) .

مصطلحات الأدوية المفردة

ينقسم الكتاب الخاص بالأدوية المفردة إلى قسمين الأول منهما فى القوانين الطبيعية التى يجب أن تعرف من أمر الأدوية المستعملة فى علم الطب والثانى فى معرفة قوى الأدوية الجزئية .

وقد اعتمد ابن سينا فى الحديث عن ماهية المفردة الدوائية اعتماد يكاد يكون تاما على (ديسقوريدس) صاحب كتاب (الحشائش) وعلى (جالينوس) .. أما فيما يتصل بطبيعة المفردة الدوائية وخواصها العلاجية فقد رجع إلى عدد كبير من الأطباء مثل : جالينوس وأبقراط وحنين وما سرجويه والرازى .. الخ وقد ذكر ابن سينا أسماء الأدوية المفردة نباتية أو حيوانية أو معدنية فى ثمانية وعشرين فصلا مرتبة وفق حروف الجمل

(١) إدارة تاريخ الطب والتحقيق الطبى : قاموس القانون فى الطب لابن سينا مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند ، ١٩٦٧ .

(أبجد هوز حطى كلمن..الخ)، فجعل فصلا للهمزة ثم فصلا للباء ثم فصلا للجيم .. وهكذا دون مراعاة الحرف الثانى أو الثالث أو الرابع، ومع اعتبار شكلها المستعمل بافتراض أن كل حروفها أصول .

وكان يذكر اسم المفردة فى غير فصل من فصول هذا القسم من كتابه إذا تعدد الاسم فى اللغة ت المعروفة له أو تعدد فى اللغة العربية نفسها. ويفصل الحديث عنه فى الموضع الأسبق فى الترتيب ثم يحيل إليها فى الموضع المتأخر، وقد يفعل العكس.

وتبلغ مداخل القسم أو مواده ثمانمائة مدخل أو مادة تقريبا، ولكن القسم يتضمن عددا من المصطلحات أكبر من عدد المداخل ورد فى أثناء التعريف بها .

واليكم جدولا إحصائيا بالعربى والمغرب من تلك المداخل .

المداخل العربية	٢٠٨	ونسبتها ٢٦٪
-----------------	-----	-------------

المداخل المعربة	٥٤٨	ونسبتها ٦٧٪
-----------------	-----	-------------

المداخل غيرالمتحقق من نسبتها	٦٠	ونسبتها ٧٪
------------------------------	----	------------

واليكم جدولا آخر بتوزيع المداخل المعربة على اللغات:

اليونانية	١٣٢	بنسبه ١٦٪
-----------	-----	-----------

الفارسية	٣٦	بنسبه ٤٤٪
----------	----	-----------

الآرامية	٤٨	بنسبه ٦٪
----------	----	----------

السنسكريتية	٩	بنسبة ١٪
-------------	---	----------

وتؤكد تلك الوقائع الإحصائية أن المداخل العربية قليلة لاسيما إذا استبعدنا منها المداخل المأخوذة من اللغة العامة مثل : إنسان وجلد وبول وبعر ودخان ..الخ وترجع

نسبة المداخل المعربة العالية إلى أن الأدوية المفردة المشار إليها فى هذا القسم لأعيان نباتية أو حيوانية أو معدنية غير معروفة فى البيئة العربية ، وسوف يتبين لنا فى قابل الحديث أن بعضها له أسماء عربية لم يصل إليها ابن سينا ولهذا فأنا أشك فى أنه رجع عند تأليف هذا القسم إلى المعاجم العربية لعهد كمعجم العين أو التهذيب الذى يقال إنه قرأه وألم بغريبه ، كما أنه لم يرجع إلى كتاب النبات للدينورى المتوفى ٢٦٠هـ .

وتؤكد أيضا أن نسبة المداخل المعربة عالية ولكنها - مع ذلك متوقعة فى ضوء الملاحظتين الآتيتين :

- أن ترجمة كتاب (ديسقوريدس) وهو أهم مصادر هذا القسم من الكتاب لم تكن موفقة تماما، فقد اكتفى مترجماء حنين واصطفن برسم عدد كبير من المصطلحات اليونانية بحروف عربية راجيين أن يأتى بعدهما من يتمكن من إيجاد مقابل عربى لها.

- أن التراجمة والأطباء الذين سبقوه وعاصروه كان أغلبهم من السريان، ولم يكن لديهم إلمام كاف بالمصادر العربية^(١) .

ملاحظات فى وضع المصطلح:

لابن سينا فى هذا الموضوع ملاحظات وتفسيرات مفيدة وطريقة . فهو يقول فى تفسير طرق الوضع : « إن الأمراض قد تلحقها التسمية من وجوه ، إما من الأعضاء الحاملة لها كذات الجنب وذات الرئة ، وإما من أعراضها كالصرع ، وإما من أسبابها كقولنا : مرض سوداوى ، وإما من التشبيه كقولنا داء الأسد وداء الفيل ، وإما منسوباً إلى أول من يذكر أنه عرض له ذلك كقولهم : قرحة طيلانية منسوبة إلى رجل يسمى (طيلانس) وإما منسوبة إلى بلدة يكثر حدوثها فيه كقولهم : القروح البلخية ، وإما منسوبة إلى من كان مشهوراً بالإنتاج فى معالجتها كالقرحة السيروتية ، وإما من

(١) عبد العزيز (د. محمد حسن) « التعريب بين القديم والحديث » دار الفكر العربى ، ١٩٩٠ .

جواهرها وذواتها كالحمى والورم^(١) .

ولا يشترط في المشابهة التحقق في كل الأحوال بل يكتفى بمجرد الاتفاق والاصطلاح يقول البيروني : اسم لصنم . . وهو اسم نبات في صورة الإنسان سواء كان معنى الاسم موجودا أو غير موجود وكثير من الأسماء يدل على معان غير موجودة^(٢) .

ومن ملاحظاته المستنيرة أنه تنبه إلى تطور المصطلح من مدلوله العام إلى مدلول خاص ، وارتباط هذا التطور بالاستعمال بين أهل الصناعة يقول : إن اصطلاح الأطباء في استعمال لفظ الرسوب والثفل قد زال عن المجرى المتعارف ، وذلك لأنهم يقولون رسوب وثفل لا لما يرسب فقط بل لكل جوهر أغلظ قواما من المائية متميز عنها وإن تعلق وطفاء^(٣) .

ومن تفسيراته الطريفة يقول عن (الجميز) : ومن الناس من يسميه (سيقومورون) ومعناه (التين الأحمر) وإنما سمي بهذا الاسم ؛ لأنه ضعيف الطعم^(٤) .

رابعاً: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية:

ابن البيطار هو أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي ، ولد في الربع الأخير من القرن السادس الهجري ولما بلغ العشرين من عمره طوف في بلاد الأغارقة وأقصى بلاد الروم ، ولقي جماعة يعانون من التعشيب فأخذ عنهم معرفة نبات كثير وعايته بنفسه في مواضعه ، وانتهى به المطاف في مصر حيث أصبح في خدمة الملك الكامل الأيوبي رئيساً للعشابين ، وبعد وفاته خدم الملك الصالح نجم الدين ، وكان حظياً عنده توفي في دمشق

(١) ابن سينا « القانون » ٨٧/١ .

(٢) السابق : ١ / ٣٣٢ .

(٣) السابق : ١ / ١٤٢ .

(٤) السابق : ١ / ٣١١ .

عام ست وأربعين وستمائة^(١) .

وكتاب (الجامع .. الخ) أشهر كتبه يحتوى على ألف وأربعمائة من العقاقير منها ثلاثمائة لم يسبقه إلى وصفها أحد، وقد ترجم كتابه هذا إلى اللاتينية غير مرة . وموضوعه: ماهية الأدوية المفردة وقواها ومنافعها ومضارها وإصلاح ضررها والمقدار المستعمل من جرمها أو عصارتها أو طبيخها أو البدل منها عند عدمها ، وقد استوعب فيه جميع ما فى كتاب (ديسقوريدس) بنصه ، وما أورده (جالينوس) فى مفرداته، ثم أضاف إليه من أقوال المحدثين ما لم يذكره ، ووصف فيه من ثقات المحدثين وعلماء النباتيين ما لم يصفاه^(٢) .

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية :

(مفردات ابن البيطار) من أغنى المصادر العربية المعروفة لنا بأسماء الأدوية المفردة من نبات وحيوان ومعادن ، وبأسماء المواطن التى بها تلك الأعيان. وهو يعالج تلك المادة الغزيرة وفقا للمبادئ الآتية :

الأول : توزيع المادة بحسب ترتيب حروف المعجم .

الثانى : ذكر أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة السمات .

الثالث: تقييد ما اجتمع من أسماء الأدوية والأماكن بالضبط والنقط.

(١) انظر فى ترجمة ابن البيطار : ابن أصيبعة : عيون الأنباء ص ٦٠١ ، دائرة المعارف الإسلامية ٢٢٥/١-٢٥٧ .

(٢) ابن البيطار : «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» المطبعة العامرة بمصر ، ١٢٩١ هـ . ويقرر (ماكس ما يروف) و(جورجى صبحى) محققا كتاب «منتخب جامع المفردات للغافقى» المتوفى ٥٦٠ هـ ، لابن العبرى المتوفى ٦٨٤ : أن مؤلف ابن البيطار ماهو إلا نسخة كاملة من كتاب الغافقى ، زيد عليه بعض ملاحظات من المؤلفين الذين خلفوا الغافقى ، ومن النادر جدا أن يعثر الإنسان على ملاحظات شخصية لابن البيطار نفسه .

المبدأ الأول :

اتخذ ابن البيطار طريقا سهلا فى تنسيق أسماء المفردات ، فوضعها فى أبواب مرتبة وفقا لحروف أ ب ت ث ح ..الخ ثم رتب أسماء كل باب وفقا للحرف الثانى دون تجريد الكلمة من الزوائد، ثم إنه كان يذكر اسم المفردة فى غير موضع إذا ما تعدد ، وكان يفصل الحديث فى الموضع الأسبق فى الترتيب ثم يحيل إليها فى الموضع المتأخر، وقد يفعل العكس.

المبدأ الثانى:

اهتم ابن البيطار اهتماما عظيما بنسبة أسماء المفردات إلى اللغات أو اللهجات المعروفة آنذاك، وهذه بضعة أمثلة لذلك .

أ- اللاتينية (أو عجمية الأندلس):

ترجع أهمية معلوماته هنا إلى أنه كان أندلسيا عالما بتلك اللغة عارفا بلفظها، وكان يتطوع فى أغلب الأحوال بذكر مواضعها.

بشلملة : بعجمية الأندلس، هى الجنطيانا بالرومية.. وهى هنا الشين المعجمة وفى موضع آخر بالسین ، وهى فى الأسبانية basilica - كما يقول دوزى (١) .

ب- البربرية : وترجع أهمية معلوماته هنا إلى انتشار البربرية فى الأندلس والمغرب الأقصى والأوسط وإلى أن ابن البيطار تلقى هذه الألفاظ سماعا من أهلها .

سرغنت: اسم بربرى للنبات المعروف ببخور البربر.. ويعرف أيضا ببخور (مورشكة) (٢) .

(١) المفردات : ١ / ٩٦ وانظر دوزى (رهنهات) : تكملة المعاجم العربية، ترجمة الدكتور محمد سليم النعمى ، وزارة الثقافة العراقية بغداد ١٩٧٨ .

(٢) المفردات : ٣ / ٨٠ وانظر : تكملة المعاجم العربية ١ / ٢٤٨ ومعجم أسماء النبات .

ج- السريانية : ويشير إليها أحيانا بالنبطية ، وقد اعتمد في تقريرها على المصادر القديمة ولا سيما كتاب ابن وحشية المعروف بكتاب (الفلاحة).

زبريا : هو البقلة اللينة ، وهو اسم سرياني ^(١) .

د- اليونانية : أناغورس anagiris هي الشجرة المعروفة بخروب الخنازير ، وتمرها يعرف بالديار المصرية عند عامتها بحب الكلى .. والكلمة يونانية . ويقول (دوزي) واسمها العلمي anagyris Foetida بطراسالينون : معناه الكرفس الصخري، لأن (بطرا) باليونانية (صخر) ، (سالينون) (كرفس) ويقول (دوزي) وتأويله صحيح واسمها العلمي petroselenium ^(٢) .

هـ- الفارسية : أشترغاز : تأويله بالفارسية شوك الجمال، وتأويله صحيح . كما في (برهان قاطع).

خونسياوشان : ومعناه بالفارسيه (دم الأخوين) وتأويله صحيح . كما في (برهان قاطع) ^(٣) .

المبدأ الثالث:

لهذا المبدأ أهمية بالغة، لأن كثيرا من تلك الأسماء والأعلام لم يعد مستعملا الآن، وقد قدم عنه معلومات غزيرة وصورة قريبة من منطوقها.

آلسن: اسم يوناني، أوله ألفان الأولى منهما مهموزة محدودة، والثانية هوائية،

(١) المفردات : ١٦٢ / ٢ .

(٢) المفردات : ٥٨ / ١ ، وتكملة المعاجم ١ / ١٩٥ ومعجم أسماء النبات ص ١٤ ، المفردات ١ / ١٠٢ والقانون ٢٦٣/١ وتكملة المعاجم ١ / ١٩٥ ومعجم أسماء النبات ص ١٤ .

(٣) المفردات : ٣٥ / ١ ، ٨٠/٢ ، القانون ١ / ٢٩٤ وتكملة المعاجم ١ / ١٤١ ، ٤١٠/٤ ومعجم أسماء النبات ص ٣٠ ، ٧٢ وبرهان قاطع ١ / ١٣٧ ، ٧٩٦/٢ .

ولام مضمومة ثم سين مهملة مفتوحة، بعدها نون، وبعضهم يكتبها بواو ساكنة بعد اللام، وبعضهم يحذفها وهو الدواء المعروف اليوم بحشيشة النجاة وحشيشة السلحفاة^(١).

يبد أن ابن البيطار - وبكل أسف - لم يلتزم بهذا المبدأ إلا فى مواضع قليلة .

منهج ابن البيطار :

توفر لابن البيطار مالم يتوفر لغيره ممن سبقه من أسماء الأدوية عربية ومعربة ومن المصادر ومن تلك المادة الغزيرة صنع هذا الكتاب أو المعجم الفريد بمدخله العربية والمعربة:

المدخل العربية : استوعب ابن البيطار ما ذكره اللغويون القدماء عن أسماء النبات كالخليل والأصمعى وابن دريد، أما كتاب النبات للدينورى فقد أفرغ مادته فى حروف الكتاب إفراغا ، وترجع أهمية تلك المدخل إلى أنه كان لا يكتفى غالبا بما ذكره اللغويون بل كان يذكر ما يرادف تلك الأسماء فى اليونانية والفارسية واللاتينية والسريانية بل العربية، انظر المدخل : أثل، إثرار ، أسل، أيدع ، آس صبق، فراء، حماض تراه قد ذكر مرادفات المعربة هكذا على التعاقب: أفاقليس، أمبر باريس سجونس، خوانتسياوشان ، بامارسيس، إيماروس، دينارويه، لابابن.

المدخل المعربة : كان للترجمة أو للتأويل دور كبير فى توفير مرادف لأغلب الأسماء الأعجمية التى وردت فى الكتاب، ولم يكتف بذلك بل كان يردفها أحيانا بما يتوفر لديه من أسماء عربية محلية.

وبهذه الطريقة استوفت المفردات الدوائية أسماءها العربية، ولم تبق إلا مدخل قليلة لا مرادف لها مثل : أضينوس، آراقوا، أرفطيون .. الخ .

(١) المفردات : ١ / ٣ .

تعريب السوابق واللاحق : وتبدو دقة ابن البيطار فى علاج قضيه المصطلح واضحة إذ عالجهها علاجاً علمياً مطرداً يراعى ما بين مجموع المصطلحات من علاقات دلالية، ويظهر هذا بجلاء فى ترجمة المصطلحات اليونانية التى تتألف من (مورفيمين) أو ما يعرف بالسوابق واللاحق وهذا مثال لذلك : السابقة poly= Polys

وهى يونانية الأصل انتقلت إلى اللاتينية ، ومنها إلى اللغات الأوربية المعاصرة ، وهى بمعنى : كثير أو متعدد، وقد عربها ابن البيطار هكذا (بولو) وترجمها بكثير، ومن أمثله ذلك : بولوقنمين : polycnemum تأويلة باليونانية كثير الرؤوس.

بولوطريخون polyttrchum تأويله باليونانية كثير الشعر.. الخ وهكذا^(١).

اللاحقة oid=eidos.

وهى أيضاً يونانية الأصل انتقلت إلى اللاتينية ، ومنها إلى اللغات الأوربية المعاصرة، وهى بمعنى (شكل) أو (شبيهه) وقد عربها ابن البيطار هكذا (ويداس) . ومن أمثلة ذلك ذفنويداس dophnoedes وتأويله باليونانية الشبيه بالغار.

مرسنويداس myrsinoeides ومعناه الشبيه بالآس.. وهكذا^(٢).

وعلى هذا جرت ترجمة للأشباه

ترجمة المصطلحات التى تبدأ بحرف صامت (ساكن)

كان ابن البيطار حريصاً على رسم المصطلح، كما ينطقه أهله على النحو الذى يتهياً للعربية أن تصوره عليه، ولما كانت العربية لا تبدأ الكلمة بصامت (ساكن) فقد

(١) المفردات : ١ / ١٢٤ وانظر : كثير الرؤوس ٣ / ٥٢ ، ١ / ١٢٧ وانظر : (برشاوشان) ١ / ٨٦ ،

، ومعجم أسماء النبات من ١٤٤ ، ١٤٦ .

(٢) المفردات : ٢ / ١٢٣ ، ٤ / ٢٣ ومعجم أسماء النبات من ٦٨ ، ١٨٩ .

جرى على ما جرى عليه العربون من بداية الكلمة بهمزة كما حدث فى (اسفنج) Sponge و(أصطرك) Storax، ولكنه أثر أحيانا حلا آخر هو أن يبقى الحرف الصامت مع تحريكه كما فى (سقورديون) Scordium و(قسطس) cistis .

فصل المقال

أولاً: اللغة العربية لغة علمية :

يقول أحد الباحثين فى تراث الإسلام : إن علماء المسلمين أعطوا العلم الأوربي قوة دفع جديدة، والأهم من ذلك أن هذا العلم الغربى قد اكتسب مادة أدت إلى تراثه بدرجة لا نظير لها بفضل الترجمات العربية عن الإغريق، وكذلك بفضل الانتاج العلمى المستقل للمسلمين أنفسهم .

وكان للعربية التى استوت فى العصر العباسى وأصبحت لغة للعلوم على اختلاف فروعها كل الفضل فى بلوغ هذا النجاح، يقول (برجستراشر) : إن اللغة العربية قدمت منذ البداية الأداة الكافية للتعبير العلمى الدقيق ^(١) .

ويشير الباحثون الغربيون إلى أن النجاح الذى حققته عملية تطويع اللغة العربية كان إلى حد كبير نتيجة لجهد متعمد مقصود لذاته، ويدللون على ذلك بأن الأعمال العربية العلمية تفهم فهما جيداً دون حاجة إلى معرفة عميقة باللغة العربية وقواعدها المستنبطة أساساً من الشعر القديم، ويؤكد هذه الحقيقة أن ترجمة تلك الأعمال إلى العبرية واللاتينية كانت تتم بيسر ودون تغييرات جوهرية .

وكان ينبغى على النحاة واللغويين - وقد اضطلعت العربية بهذا الدور الجليل فى نقل المعارف اللغوية - أن يعنوا بخصائصها وأن يسجلوا مفرداتها فى معاجمهم ، ولكنهم بكل أسف أهملوها إهمالاً مزرعياً، فكان أن انقطعت صلة هذه اللغة بخصائصها

(١) شاخنت وبزورت : تراث الإسلام ٣ / ٨١ .

الأسلوبية ومعجمها الخاص بقواعد النحو والصرف ومعاجم اللغة التى توفر على وضعها النحاة واللغويون . لقد كانوا يعتقدون اعتقادا جازما بأنها لغة مولدة من ناحية ، ومليئة بالألفاظ الأعجمية والأساليب الفاسدة - من ناحية أخرى . ولما أن اهتم بعض المتأخرين من صنّاع المعاجم كالفيروز آبادى بهذه اللغة وضمنها معجمه خرج عليه من يقول إن هذا الصنيع من سقطاته الفاضحة .

وهكذا قضى على هذه اللغة العلمية أن تظل حبيسة فى كتب العلوم بحيث لا نستطيع أن نعد لغتنا العلمية المعاصرة امتدادا لها مع أننا نستطيع ذلك بالنسبة إلى اللغة الأدبية (١) .

ثانياً : مذاهب العربيين فى وضع المصطلحات العلمية :

من الأمثلة التى قدمناها فى أثناء العرض ومن خلال تعليقاتنا عليها تبين لنا أن العربيين قد اتخذوا المذاهب الآتية فى وضع المصطلحات العلمية .

- مقابلة اللفظ الأعجمى بلفظ عربى يؤدى معناه دون تغيير كوضعهم (أثل ، لترادف (أفاقليس) ، و(إثرار) لترادف (أمير باريس) ،(أسل) لترادف (سجونس) .

- مقابلة اللفظ الأعجمى بلفظ عربى يؤدى معناه مع تغيير لعلاقة ما كاستعمال الكيد والابتزاز والاستعلاء والحصار والتشويق للدلالة على مواضع النجوم فى السماء .

- ترجمة المصطلح الأعجمى بكلمة أو عبارة عربية بمعناه كترجمة المصطلح اليونانى (بولوغالين) بمكثر اللبن أو ترجمة المصطلح الفارسى (اشترغاز) بشوك الجمال

(١) عبد العزيز (د. محمد حسن) : التعريب بين القديم والحديث ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

- تعريب المصطلح الأعجمي (أى نقله إلى العربية نقلا صوتيا)^(١) .

ويعتمد د. مصطفى الشهابي مذهب هؤلاء المعربين بقوله : من الواضح أن هؤلاء النقلة لم يجمدوا فى أداء مهمتهم ، بل ساروا على مذهب القائلين بضرورة الدوام على الاشتقاق والتعريب لكى تنمو اللغة وتتسع للعلوم الدخيلة ، ولو اتبعوا هم وعلماء العرب من بعدهم رأى هؤلاء المتشددون من علماء اللغة ووقفوا عند مادون بالسماع عن عرب الجاهلية والمخضرمين لفقدت العربية ألفوا من أسماء الأعيان ومن المصطلحات العلمية^(٢) .

بيد أن د. أحمد عمار يرى أنهم أسرفوا فى التعريب حتى كادوا يهملون ما هو أحفظ منه للغة وأدل منه على محاسنها وهو الاشتقاق^(٣) .

دل على هذا رأى الملاحظات الآتية:

- أن هذا الإسراف كان ملحوظا حقا فى الدور الأول من الترجمة ، وقد رأينا أن مترجمى كتاب (الحشائش) لديسقوريدس كانا يفسران ما يعلمانه من الأسماء

(١) انظر أمثلة متنوعة لهذه المذاهب على النحو الآتى :

المفردات التى أدخلها العرب فى المادة الطبية: د. محمد كامل حسين « الموجز فى تاريخ الطب عند العرب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ص ٣٥١-٣٥٣ وفى : جمعهم بين الكلمات العربية والعربية على وزن اسم الآلة : المرجع السابق ص ٣٥٨ - ٣٦١ وفى استعمالهم صيغة فعول لما يتعاطى بالفم من الأدوية مثل سموط وريوب ونطول د. محمد حسن عبد العزيز : الوضع اللغوى فى الفصحى المعاصرة دار الفكر العربى - القاهرة. وانظر أيضا فهرس المصطلحات الخاصة بكتاب حنين ابن إسحق «المسائل» ص ٤٥٣ - ٤٧٣ والفهرس الخاص الذى وضعه جورجى صبحى لكتاب ثابت بن قرة «الذخيرة» : ٤٣- .

(٢) الشاى (د. مصطفى) : المصطلحات العلمية ص ٢٨ .

(٣) عماد (د. أحمد) : المصطلحات الطبية. مجلة الجمع ٨ / ٤٢٠ .

الأعجمية بالعربية، ومالم يعلماء كانا يتركانه على اسمه باليونانية اتكالا منهما على أن يبعث الله بعدهما من يفسره بالعربية، وقد كان ما انتظرا.

وتكفلت المراجعات المتعددة التي تعاورته بكشف قناع العجمة عن أغلب مصطلحاته، وهكذا كان الشأن في كثير مما ترجم في الدور الأول.

- كان من مآلوف المترجمين في العهد العباسي منذ حنين بن اسحق أن يقرنوا الأسماء الأعجمية المعربة بمرادفها بالعربية مؤمنين بأن العلماء سوف يختارون ما هو أنسب .

- أن استعمال المصطلح الأعجمي المعرب أنسب من حيث احتفاظه بمدلوله الخاص وشخصيته العلمية بعيدا عن ملابسات اللغة العامة . وهذا يذكرنا بما فعل العلماء المحدثون بالاشتقاق من اللغات الميتة والاستمداد منها .

ولكننا مع ذلك نشارك د. عمار في أمر آخر، وهو أنه يرى أن القدماء كانوا راشدين حين أقبلوا على نقل العلوم مندفعين غير مثبدين ، فما أضر بهم ولا بلغتهم هذا الاندفاع، بل إنهم لو كانوا قد حذروا أو تمهلوا لما خلد لهم في التاريخ ذكر ولا بقي لهم في العلم أثر .

وإذا كان من الضروري أن نستفيد من دروس الماضي فمن حقنا أن نعجب أن يكون هذا هو مذهب قدمائنا إلى التجديد بينما نقف نحن حيارى مترددين بين المحافظة والتجديد، فيلاحقوا هم عصرهم بالبطئ واثبين ، ونخلد نحن في عصرنا الوثاب إلى الهوينى.

ثالثاً : مذاهب المعربين في رسم الألفاظ الأعجمية :

من الجراءة المحمودة أن أقول إن تعريب العلماء للألفاظ الأعجمية كان خاضعا إلى حد مناسب لقواعد مطردة في مقابلة الصوت بالصوت أو مقابلته بما يقاربه في العربية

صامتاً أو صائتاً، ولا أستطيع أن أذكر هنا تلك القواعد وأمثلة لها إذ لا يتسع المجال لذلك، وهى تؤدي إلى الإملال حتماً ، وأحيل الراغبين فى معرفتها إلى كتابى (التعريب بين القديم والحديث) بيد أن هذا لا يعفىنى من كلمة قصيرة عن اضطرابهم فى رسم بعض الكلمات ، ويرجع هذا الاضطراب إلى أسباب عديدة من أهمها أنهم ما كانوا فى أغلب الأحوال ينقلون عن اليونانية مباشرة، وأن بعض المترجمين لم يكن لديه منهج محدد فى الرسم متفق عليه ، وأن الناسخين لم يراعوا الدقة المطلوبة فحرفوا كثيراً من تلك الأسماء، كما أن استخدام النقط أو الشكل لم يكن ملتزماً دائماً . ويكفى فى الاستشهاد على ذلك أن المعربين القدماء ومنهم ابن سينا وابن البيطار قد عربوا

taraxcum وهو نبات اليعقيض بما ينيف على الثلاثين تعريباً فقالوا : طرخشقون، طرشقوق، تلخشقوق، طركسينا.. الخ^(١) .

رابعا مذاهب المعربين فى تعريب الأسماء الأعجمية :

أ- إخضاع الأسماء الأعجمية للأوزان العربية :

تبين للمعربين أن إخضاع الأسماء الأعجمية للأوزان العربية يتطلب إحداث تغييرات فى بنيتها تبعدها عن أصلها ، ولما لم تكن لهم حاجة كبيرة إلى الاشتقاق منها فقد آثروا الاحتفاظ بصورتها المنقولة على النحو الذى يمكن أن تصوره الحروف العربية ، بيد أنهم مع ذلك راعوا أمرين مراعاة تامة :

أحدهما: ألا تبدأ الكلمة بساكن . والثانى : ألا يتوالى فيها ساكنان .

وقد تسامح المعربون فى الحد المسموح به لطول الكلمة فى العربية ، إذ من المعروف أن الاسم فيها لا يتجاوز بالزيادة سبعة أحرف. ومن أمثلة ذلك : هيوسفطيداس ، أسطوخودس ، طريقوليون .. الخ بل إن بعضها كان نقلاً صوتياً لتركيب أعجمى انظر

(١) عيسى (د. أحمد) : التذنب فى أصول التعريب ص ١٤٤ .

مثلا (بوسن دريندى) و(بيش موش بيشا) فى مفردات ابن البيطار .

ب- افتراض أصول الألفاظ الأعجمية :

إن افتراض أصول للألفاظ الأعجمية مع ما فيه من إحجاف له ما يسوغه عند علماء الصرف وصناع المعاجم ، فالكلمة الأعجمية إما أن يحتفظ بصورتها اللفظية فى لغتها ، وفى هذه الحالة لن تخضع لعملية الاشتقاق والتصريف التى تخضع لها الكلمة العربية ، وإما أن يتصرف فيها بتغيير فى لفظها يجعلها فى صورة مماثلة لصيغة عربية يمكن أن يشتق منها ويتصرف فيها .

والغالب أن المعربين أخضعوا ما أرادوا الاشتقاق منه لصيغه (فعل) أو (فعلل) فقالوا دَوْن من (ديوان) ثم قالوا : مدون وتدوين .. الخ . و(زنجر) من (زنجار) ثم قالوا : زنجر وتزنجر ومزنجر وزنجرة الخ .

ومن الأمثلة المجموعة قولهم : فلسف ، وهندس وهندم ، وبلور وزبيق ، وملعم ، وبوسر كما نقل عنهم أنهم قالوا : مقرفل من (قرنفل) ومينس من (يانسون) .. الخ

ج- ترتيب المداخل العربية :

اضطرب علماء الصرف وصناع المعاجم عند معالجتهم للكلمات الأعجمية فقد نسبوا بعضها إلى جذور عربية فقالوا إن (أرجوان) من (أرج) أو (رجو) أو افترضوا جذورا وهمية من لفظها فوضعوا (باذنجان) فى (بذنج) .. الخ وفى ذلك كما يقول الشدياق : إحجاف بالكلمة الأعجمية ، لأن حروفها كلها أصلية ، ولأن اللغات لا تشتق الواحدة منها من الأخرى ، وإنما يشتق فى اللغة الواحدة بعضها من بعض كما يقول الزجاج .

من أجل ذلك نتبين كيف كان ابن سينا وابن البيطار موفقين فى علاج الألفاظ الأعجمية ، إذ عدوا حروفها جميعا أصولا ، ولم يلحقوها بجذور عربية أو يفترضوا لها

أصلا من لفظها ، كما أنهم نجحوا إلى حد ما فى ترتيبها فى أبواب وفصول بحيث يتيسر على القارئ أن يرجع إلى ما يريد من غير مشقة ، بل إنهم عالجوا المداخل العربية كالأعجمية فاعتد ابن البيطار بصورتها الملفوظة دون أن يردها إلى جذرها ، ومع الاعتداد بألف المد دون ردها إلى أصلها الواو أو الباء .

د. ضوابط فى تعريب بعض الألفاظ:

— إذ بدأت الكلمة الأعجمية بحرف صامت (ساكن) فإنه يزداد فى أوله همزة قطع كما فى إسفنخ فهى من sponge ، وقد يحرك بصائت (حركة) كما فى سقورديون فهى من scordium .

— كان العربون يخذفون بعض حروف الكلمة تخفيفاً فقالوا فى zousypos زوفا .

— الكلمات اليونانية التى تنتهى بـ um ترسم العربية (ون) لأنها مقلوبة عن on وهو النهاية العادية للكلمات اليونانية التى ليست بمذكر ولا مؤنث ف lycium يرسمها ابن البيطار (الوقيون) .

وبعد فهذا هو تراثنا العلمى أمانة فى أعناقنا ، وهذه آراء علمائنا السابقين من قضية التعريب فما موقفنا نحن ؟

إن قضية التراث العلمى العربى من الألفاظ والمصطلحات التى استعملها العلماء أو من الأحكام والضوابط التى استخرجها النحاة واللغويون قد فرضت نفسها على الباحثين المحدثين فرضاً ، لأن الأمة العربية شاءت أن تكون الفصحى لغتها القومية التى تعبر بها عن ثقافتها وفكرها المعاصر ، وشاءت أن تكون حياتها فى الحاضر ممتدة إلى جذورها فى الماضى العريق ، لقد اجتمعت كلمة المفكرين والعلماء واللغويين على ضرورة الاستمداد من هذا التراث ، وهم — مع اختلافهم فى كيفية الاستمداد — يوجبون البدء بالبحث فى هذا التراث ويؤثرون العربى القديم على ما يرادفه من العربى المولد أو من العرب ، وهم أيضاً يرتضون التوليد والتعريب متى دعت الحاجة إليهما ، وهم يدعمون دعوتهم إلى التعريب أو التوليد بما قاله القدماء فيها .

يبد أن تقديرنا للتراث العلمى بوضعه فى هذا المحل لا يجب أن ينسينا أن للعلم مقتضياته التى ينبغى علينا مراعاتها من حيث الإسراع بإيجاد المصطلح، وتحرى الدقة فى اختياره من القديم أو بالتوليد أو بالعريب، ليكون وافيا بما يؤديه مرادفه الأجنبى، إن التقدم العلمى الذى شمل العلوم البحتة بكل فروعها وتطبيقاتها والذى حقق إنجازات باهرة ليكشف لنا عما تعانیه الأمة العربیة من تخلف علمى وتبعیة، ويوجب علينا أن نسرّع إسرعا للأخذ بأسبابه واللاحق بركبه والتخلص من كل ما يعوق قفزاتنا لإدراكه، وما ينبغى - على أية حال - أن تكون اللغة سببا فى تخلفنا أو فى تعويق حركتنا.

إن الاستعداد من هذا التراث العلمى محكوم بمجموعة من الاعتبارات هى خلاصة ما انتهى إليه جمهرة من علمائنا المعاصرين:

- ١- أن ما نصنعه من المصطلحات فى بعض العلوم أقل مما يستحدث فيها.
- ٢- أن ما كان منها معروفا عند القدماء لا يفيدنا كثيرا لقلته ، ولأن أكثر المصطلحات القديمة مفردة لا تتبع نظاما خاصا، ولأن المناهج الحديثة، ومذاهب التفكير العلمى تجعل التطابق بين مدلولات المصطلحات القديمة والحديث أمرا بعيدا.
- ٣- أن مشكلة المصطلحات ليست مجرد بحث عن ألفاظ ، لأن طبيعة المصطلحات تجعلها صورة حية لتطور العلوم، وهى تدل على مافى تاريخ العلم من صواب أو خطأ، وهى جزء لا يتجزأ من أساليب التفكير العلمیة .
- إن اقتناعنا بمراعاة تلك الاعتبارات يضعنا - نحن اللغويين - أمام مسئولياتنا بوضوح. إن حركة تعريب الفكر والعلم والتعليم نجاحها مرهون من جهتنا بما نبذله من عمل جاد فى تطويع العربیة بتوسیع أقيستها وضوابطها ، والكشف عن ذخائرها من الألفاظ والصیغ والأساليب لتواكب الحركة العلمیة بغير تمهل ، وبما نبديه من جرأة محمودة فى تحطيم الحواجز اللغویة التى تعوق تلك الحركة .

هذا هو التحدى ، فهل نحن مستعدون له ؟

